

قراءة سوسولوجية لظاهرة الانتحار في الجزائر

د. معنوق جمال*

ملخص

تعد ظاهرة الانتحار من الظواهر الاجتماعية التي أخذت أحجاما و إشكالا ملفتة للانتباه بل أصبحت بمثابة هاجسا يهدد استقرار و بقاء البناء الاجتماعي. و ذلك لكونها لا تخص جنس دون الآخر و لا فئة اجتماعية دون الأخرى.. و لهذا الغرض جاءت هذه الدراسة كمحاولة لفهم الآليات المتحركة في انتشار ظاهرة الانتحار في الجزائر من خلال تحديد معنى هذا الأخير القراءة النقدية لأهم المقاربات السوسولوجية و أخيرا إعطاء فكرة و لو جزئية حول التوزيع الجغرافي للانتحار بالجزائر

Résumé:

A travers cette étude on tente de définir le phénomène du suicide, ainsi qu'apporter une lecture socio-critique des différentes approches sociologiques.

Enfin on essayera de présenter une distribution géographique du phénomène à travers le territoire national (Algérie). suivi de quelques recommandations opérationnelles pour faire face à ce dernier.

أستاذ محاضر — جامعة سعد دحلب — البليدة — قسم علم الاجتماع وباحث في مخبر
التغير الاجتماعي بجامعة الجزائر

تمهيد:

تعتبر ظاهرة الانتحار من المشكلات الاجتماعية التي أصبحت تهدد العديد من المجتمعات دون استثناء. كما أنها لا تخص مجتمعا دون الآخر.

ففي الأمس القريب كنا نقرأ الأرقام المرعبة للمنتحرين في الدول الغربية واليوم انتقلت العدوى وبقوة عندنا وأصبحت أغلبية الصحف الوطنية تتكلم عن التزايد المستمر للمنتحرين عبر كامل المدن الجزائرية.

والانتحار كظاهرة اجتماعية لا تقتصر على جنس أو سن معين بل تمس الجنسين معاً، وكل الفئات العمرية، كما أنها لا تخص فئة اجتماعية مهنية دون الأخرى، إلا أن هناك تفاوت في الأرقام وفرص الإقبال على الانتحار من فئة أخرى.

وفيما يخص المواقف والآراء حول هذا السلوك اللامعياري نجد أن هناك من يرى فيه "فعلا انحرافيا" وسلبيا يتنافى والقيم الاجتماعية المنظمة للمجتمع وتعدّ على أقدم المقدسات ألا وهي النفس البشرية. بينما البعض الآخر يرى فيه سلوكا إيجابيا وهذا خاصة عند بعض الشعوب أو الطوائف الدينية مثل :

-Secte des Davidiens.

-Secte du Temple Solaire

وغيرها من الفرق الدينية الأخرى المنتشرة اليوم بقوة في كل الدول الغربية والولايات المتحدة واليابان، حيث أصبح الانتحار الجماعي من خاصيات هذه الفرق.

وعليه يمكن القول بأن ممارسة الانتحار ممارسة موجودة منذ العهود الغابرة، حيث بيّنت الدراسات الأنثروبولوجية وعلم الآثار ما قبل التاريخ بأن هناك أدلة على وجود هذه الظاهرة عند العديد من الشعوب.

ومن بين الأسباب التي كانت وراء الانتحار نجد الفقر والذي كان يدفع العديد من العائلات إلى الإقبال على الانتحار الجماعي وهذه الظاهرة كانت موجودة بالجزائر، وهذا ما أكدّه لنا أحد علماء الآثار بمنطقة بشار، حيث قال لنا بأن هناك قبور غير عادية من حيث الطول، كانت

تخصص لأفراد العائلة الواحدة الذين انتحروا بسبب الفقر وعدم القدرة على ضمان لقمة العيش. وهناك العديد من الأساطير وجدناها حول هذه الظاهرة في كل من منطقة "تبليبة" و "الحر" بولاية بشار بالجنوب الجزائري.

وهذا للتأكيد على أنّ ظاهرة الانتحار بشتى أنواعها (والتي ستطرق إليها لاحقا) لا تخص الدول الغربية فقط كما يعتقد البعض، بل كذلك الجزائر وهذا منذ القدم، إلا أنّ الحجم الذي اتخذته اليوم هذه الظاهرة عندنا هو الذي أصبح بمثابة الهاجس المهدد للمجتمع، لما له من انعكاسات سلبية، وإهدار للأرواح وتخريب وتدمير للأسر بشكل خاص والمجتمع بشكل عام.

وقبل التطرق لظاهرة الانتحار في المجتمع الجزائري نحاول في البداية تحديد معنى الانتحار وإعطاء أهم الاتجاهات المفسرة له بالإضافة إلى أنواعه.

-أولا- معنى الانتحار:

1- المعنى اللغوي:

تفيد كلمة "انتحار معنى متماثلا: فالكلمة مشتقة من الجذر (نحر) أي ذبح وقتل، وانتحر الشخص أي ذبح نفسه أو قتل ونحر البعير نحرا أي طعنه في منحره حيث يبدو الحلقوم من أعلى الصدر" (1).

ويقصد بالانتحار لغويا: عملية قتل الذات بذاتها؛ وهو مفهوم مشتق من كلمة مركبة من أصل لاتيني من فعل Caedue بمعنى "يقتل" والاسم Sui بمعنى النفس أو الذات في الفرنسية Suicide وكذلك الإنجليزية (2).

ويقال في اللغة تناحر القوم إذا تشاجروا لحد الهلاك وقد استعملت كلمة (بخع نفسه) في القرآن الكريم والأحاديث النبوية ونصوص التاريخ الإسلامي مرادفة لكلمة (انتحار) وتعني هلك نفسه أو انتهت غما (3).

وقد قال الله تعالى " فلعنك بَاخِعُ نَفْسِكَ على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا" (4).

2- الأصل الابدئيولوجي للكلمة:

إنّ كلمة (انتحار) تعد كلمة حديثة الاستخدام نسبياً، حيث أنها استعملت لأول مرة في عام 1651م وإن كان الانتحار كفعل إنساني قديم قدم الإنسانية ذاتها"⁽⁵⁾.

ثانياً: أنواع الانتحار:

حسب دوركايم: هناك ثلاثة أنواع للانتحار وهي:

- 1- **الانتحار الأناني:** ينطوي على المبالغة في تقديس النفس. فالفرد هنا يقبل على الانتحار نتيجة لضعف الترابط في مجتمعه الديني بالإضافة إلى نقص التماسك الاجتماعي بين الأفراد وطغيان النزعة الفردية المتطرفة.
- 2- **الانتحار الغيري أو الإيثاري:** هذا النوع من الانتحار نجده يناقض تماماً النوع الأول، فهو نتيجة مباشرة للتضامن الاجتماعي واندماج وذوبان الفرد في الجماعة التي ينتمي إليها، وعليه تصبح المصالح العامة والجماعية أعلى من الحياة الفردية. فالفرد هنا يعبر عن اندماجه الاجتماعي وإيمانه بالمصلحة العامة بأعلى ما لديه وهو التضحية بنفسه في سبيل الجماعة.
- وهنا يمكن إدراج انتحار الشيوخ مثلاً في بعض المجتمعات لترك الفرصة للشباب، أو انتحار الفدائي خدمة لمصلحة الجماعة، وهو أعلى وأقدس شكل من أشكال التضحية والإيثار.
- 3- **الانتحار الأنومي أو اللامعيارى:** هذا النوع من الانتحار يرجع إلى الفساد الاجتماعي وتغفن الأوضاع وكثرة الأزمات (الاقتصادية – الأخلاقية- السياسية- غياب التوازن الاجتماعي...). كما أنه يمكن أن يحدث هذا النوع من الانتحار في الأوساط الثرية (الغنية) وليس بالضرورة عند الفقراء، فالعامل المادي لا يمكن أن يشكل الدرع المانع أمام الانتحار في ظل الفوضى الاجتماعية والأخلاقية.
- كما أنّ هناك أنواع أخرى للانتحار يمكن الإشارة إليها بسرعة وهي:
- الانتحار الجماعي: ويتم بطريقتين: إما كل فرد يقتل نفسه، أو أن يعين عضو فعّال من تلك الجماعة ليقوم بعملية القتل قد يشبه تلك الجريمة التي تقوم بها الأم المختلة عقلياً والتي تقتل نفسها مع أولادها، أو ذلك الزعيم للطائفة الدينية الذي يقتل جماعته (أتباعه) ثم ينتحر بدوره.

-الانتحار "الهراكييري" (Hara Kiri): وهذا النوع من الانتحار يمكن أن يكون جماعيا أو فرديا، وقد عُرف خاصة في اليابان، يتم في مراسيم واحتفالات شعبية أين كان يقوم بها أعضاء جماعة "الساموراي" (وهي طبقة المحاربين في اليابان القديمة، ويرجع تاريخها إلى القرن الثاني عشر)، أما الغرض من هذه العملية فقد كان هذا الشكل من الانتحار وسيلة للتعبير عن السخط والغضب والاحتجاج، وهذا ما نلاحظه عبر وسائل الإعلام والاتصال، حيث يحرق بعض الأفراد أجسادهم في الساحات العمومية وأمام البنايات الحكومية للتعبير عن سخطهم عن المسؤولين وسياساتهم.

-**الانتحار الفراري:** وهو الهروب من العقاب، أو عدم مواجهة الوضع (وضع لا يطاق) أو شدة الحزن خاصة عند فقدان أحد الأقارب، أو عنصر أساسي أو فعال ضمن الجماعة التي ننتمي لها. ومثال عن هذا نذكر مثال المرأة (الزوجة) التي خانت زوجها وخوفا من أن يكشف أمرها لأوليائها فقد فضلت الانتحار عن المواجهة.

-**الانتحار الطقوسي** وهنا تتم التضحية بالنفس، دائما خدمة للمصلحة العامة، أو إنقاذ الآخرين، وهذا النوع من الانتحار كان موجودا بكثرة عند الشعوب البدائية وحتى الحضارات الراقية مثل "الأسستيك" والفراعنة الخ...

كما نشير إلى أنّ هناك العديد من الأشكال الأخرى للانتحار نظرا لتعدد المدارس العلمية التي تناولت الظاهرة بالدراسة.

ثالثا: صعوبة تحديد مفهوم الانتحار:

يلخص بعض الباحثين الصعوبات التي تواجه الباحث الذي يتصدى لتعريف "الانتحار" في عدّة نقاط هي⁽⁶⁾:

-تستخدم كلمة (انتحار مع مجموعة متعددة من السلوكيات تشمل:

1- محاولة الانتحار Attempted Suicide

2- الانتحار المكتمل ComPLETED Suicide

3- التهديد بالانتحار Threatened Suicide

والتي تحمل جميعها فكرة السلوك التدميري، وقد تحمل أولا تحمل تنفيذ السلوك الانتحاري.

-يوجد غموض في جوانب توقيت تصنيف السلوك الانتحاري، حيث إنّ غالبية التشخيصات للسلوك الانتحاري تتم بعد محاولة الانتحار أو بعد الانتهاء من الانتحار (وقوع الانتحار فعلا)، ومن هنا يرى البعض أنّ المشكلة الأساسية في تعريف الانتحار هي أنّه يحدد بعد إتمام الفعل وقوعه Potshot" (7).

قد لا يوصف الفعل على أنّه انتحار لا لشيء إلا لتجنب عمليات الوصم الاجتماعي.

-قد يصنف الفعل على أنّه انتحار للتغطية على الجرائم المرتبطة بالجنس (جرائم الشرف والاعتصاب وهتك العرض) خاصة في المجتمعات التي تقيم ثقافتها وزنا كبيرا لمثل تلك الأمور (8).

رابعاً: أهم الاتجاهات المفسرة لظاهرة الانتحار:

انقسم الباحثون في تحديدهم لمعنى هذا المفهوم إلى اتجاهات عدة، تمثلت في:

الاتجاه الأول: اشترط أصحاب هذا الاتجاه معرفة الشخص وإدراكه للفعل الذي يقوم به إنّما ينتهي به إلى الموت المحقق، ومن أمثلة التعريفات التي تنضوي تحت هذا الاتجاه، تعريف إميل دوركايم E.Durkheim إذ يعرفه بأنّه: كل حالات الموت التي تنتج بصورة مباشرة أو غير مباشرة عن فعل إيجابي أو سلبي يقوم به الفرد بنفسه وهو يعرف أنّ الفعل يصل به إلى الموت" (9).

وهنا نسجل النقد البتاء والهادف الذي قدّمه مكرم سمعان لدوركايم ولتعريفه هذا حيث يرى سمعان أن دوركايم "يخلط بين "الانتحار" وبين صور أخرى من الموت كالفداء والتضحية والاستشهاد دون التمييز بينها" (10).

وضمن هذا الاتجاه نذكر كذلك "شارل بلونول" الذي عرف الانتحار بأنّه "الفعل الذي يصدر عن إنسان يفضل الموت عن وعي ورغم قدرته على اختيار الحياة دونما ضرورة أخلاقية" (11).

أما "هليناكس" فقد عرف الانتحار بأنّه "حالة الموت الناتج عن فعل يأتيه الضحية بنفسه بقصد قتل نفسه وليس التضحية بها لشيء آخر، أي هو موت إرادي يقدم عليه الفرد للخلاص من مشاكله وصعوباته غير

المحتملة التي نشأت من حياته في الجماعة ويقوم بنفسه باختيار الوسيلة التي تحقق له انتحارا تاما" (12).

ونختم هذا الاتجاه بتعريف "شنايدمان (Shneidman) القائل: "فعل شخصي ينهي حياة الفرد ذاتيا وقصديا يؤكد على أنّ الانتحار ليس مرضا Disease ولكنه ظاهرة معقدة من السلوك الذي يستهدف تدمير الذات Self-destructure behavior (13).

الاتجاه الثاني:

يتجه بعض الباحثين إلى تبني المعنى اللغوي في تعريفهم للانتحار، حيث عرفه (سمعان) بأنه "كل فعل أو أفعال يقوم بها صاحبها لقتل نفسه بنفسه وقد تم له ذلك وانتهت حياته نتيجة هذه الأفعال" (14).

ويتضح من هذا التعريف تأكيده على عنصر القصدية في الانتحار، وتحقيق النتيجة المقصودة بالفعل (الموت)، ومن هنا يشترط هذا التعريف شرطين لابد من توافرها في الفعل أو الأفعال أو السلوك الذي يقوم به الشخص ليصدق عليه مصطلح الانتحار وهما: القصد، وتحقيق الموت فعلا (15).

وهنا نذكر التعريف الذي قدّمه أحمد شفيق السكري والقائل بأنّ الانتحار هو "إجراء مقصود وإرادي يقتل الشخص لنفسه وتدمير ذاته" (16).

الاتجاه الثالث:

يذهب أصحابه إلى التمييز بين نوعين من الانتحار في التعريف هما: الانتحار الحقيقي، والانتحار النفسي. فالانتحار الجسدي عرفه وليم الخولي (1976) بأنه قتل الإنسان لنفسه عمدا.

بينما يعرف الانتحار النفسي بأنه نوع من الانتحار غير الصريح حيث يزهد البعض الحياة تماما أو يبغضونها وتدفعهم عوامل اليأس إلى تحطيم أنفسهم فيصابون بحالات مرضية، ولقد عاب الباحثون على الزهد أنّه خطر يهدد الحياة بإضعافه الجسد والروح معا، وأنّه (أي الزهد) يضاد آخر الأمر واجبات المرء نحو ذاته" (17).

ويقرّر (سينارد) أنّ الزهد يختلف اختلافا جذريا عن الانتحار من حيث مقصده العميق، والانتحار هو أن يقتل المرء نفسه بوعيه وفي الزهد

يرغب المرء بنفسه روحيا حتّى يولد لحياة جديدة يفقد فيها الجسد شيئا من سيطرته الطاغية، والأمر في الزهد هو أمر الاستعاضة عن الأنا العاطفية المتعجرفة الأنانية بأنّ الفضائل الأخلاقية والصوفية، و من ثمّ فهو (مينارد) ينظر إلى الزهد باعتباره وسيلة تنقية وراقي روحي وليس غاية في ذاته" (18).

ويميز الدكتور اللحيان بين الانتحار المعنوي والذي يعني في نظره طمس شخصية الإنسان بحيث يصبح عاطلا عن الإنتاجية الفعالة الصحيحة وعرضة للإصابة بالأمراض النفسية والانتحار المادي هو قتل النفس، إمّا عن طريق الحقن السمية أو التردّي من مكان مرتفع أو ضرب النفس بالرصاص، أو تعليق النفس بحبل ثمّ قتلها فجأة (شنق النفس) (19).

هنا يمكن أن نقول بأنّ الانتحار المعنوي هو مرادف للاغتراب والضياع الاجتماعي، حيث يجد الفرد نفسه داخل المجتمع دون أي قيمة أو شأن، وهذا الوضع يولد لديه الإحباطات والكآبة والشعور باللاقيمة وعليه يصاب بالأمراض النفسية وغالبا ما يدفع به هذا الوضع إلى الانتحار وجعل حد لحياته.

الاتجاه الرابع:

يميل أصحاب هذا الاتجاه إلى التوسع في تعريف الانتحار بحيث يمكن أن يشمل أنواعا أخرى من السلوك المقاربة للانتحار، ومن أصحاب هذا الاتجاه يتميز تعريف كارل منجز (1938) وهو يعرف الانتحار بأنّه قتل الإنسان نفسه بالطريقة التي يختارها سواء كان الموت الناتج عاجلا أو آجلا (20).

ونلاحظ أنّ هذا التعريف اهتم بالنص على اختيار الوسيلة التي يتم بها الانتحار لما لها من دلالة في التحليل النفسي.

إنّ تعريف جامع ولكنّه غير مانع يخلط بين الانتحار وبين أنواع أخرى من السلوك المقاربة له كالزهد والتنسك والتصوف والرهينة عموما فضلا عن التضحية والاستشهاد، كما أنّه يشمل صورا من إدمان الخمر، والأمراض النفسية والعقلية، وقد أطلق عليها "منجز" مصطلح "الانتحار المزمن" Cronic Suicide (21).

الاتجاه الخامس:

يرفض أصحابه النظر إلى الانتحار على أنه فعل أو حدث منفرد، وإنما يؤكدون أنه عملية دينامية معقدة. ومن هذه التعريفات يبرز تعريف (بيك وآخرون Beck et al)، حيث أشاروا إلى أن الانتحار ليس حدثاً منعزلاً بل هو عملية معقدة وأن السلوك الانتحاري يمكن تصوره باعتباره واقعا على متصل لقوة كامنة تشمل:

(تصور الانتحار: ثم التأملات الانتحارية، يليها محاولة الانتحار وأخيرا إكمال هذه المحاولة الانتحارية)⁽²²⁾.

ويتفق بونر وريتش Bonner and Rich (1987) مع التعريف السابق حيث عرفا السلوك الانتحاري بأنه "عملية مركبة من مراحل مختلفة تبدأ بتصور الانتحار الكامن ويتقدم خلال مراحل من تأمل الانتحار النشط ثم التخطيط للانتحار وفي النهاية تتراكم محاولات انتحار نشطة لدى الفرد وقد يتذبذب مركز الفرد في هذه العملية وفقا لتأثير العمليات البيولوجية والنفسية والاجتماعية"⁽²³⁾.

بعد هذا العرض السريع لأهم الاتجاهات الخاصة بتفسير وتحديد ظاهرة الانتحار ننقل إلى مطلب آخر وهو الانتحار والتضحية:

الفرق بين الانتحار والتضحية:

كما سبق الإشارة إليه هو أن إميل دوركايم عند تعريفه للانتحار لم يميز بين التضحية والانتحار، حيث أخلط بين الاثنين، ما دفع بالعديد من العلماء إلى انتقاده ومحاولة تصحيحه، ومن بين هؤلاء نذكر "موريس هلفاكس" الذي عرّف الانتحار على أنه "كلّ حالة موت ناجمة عن فعل يقوم به الضحية بنفسه عازما على قتل نفسه أو متطلعا إلى ذلك وهو غير فعل التضحية"⁽²⁴⁾.

ويزيد العالم ليون مينارد القضية وضوحا فيقول: إنّ إنسان التضحية لا يطلب الموت للموت، إنّهُ يقتصر على الرضا بالتعرض للخطر دفاعا عن قضية يحبّها ويضحّي من أجلها، والتضحية وسيلة نافعة لخدمة القيم التي ارتبط بها ارتباطه بخبرات أئمن من الحياة ذاتها ما دامت الحياة بدونها تخسر كلّ شأن"⁽²⁵⁾.

وحول إصرار التمييز بين الانتحار والتضحية يقول مينارد: "إنّ ذلك ينجم عنه نتائج ثلاث جلية كل الجلاء:

- 1- إنّ إدانة الانتحار لا تقود البتة إلى إدانة التضحية.
- 2- إنّ امتداح التضحية لا يقود البتة إلى امتداح الانتحار.
- 3- إنّ احترام الحياة بدافع القيم يجعل الانتحار خطيئة كما يجعل التضحية عملا مجيدا ويضفي عليها صلة الواجب عند الاقتضاء" (26).

خامسا: أرقام حول الانتحار في الجزائر:

خامسا: أرقام حول الانتحار:

والآن نحاول أن نبين في بعض الأرقام حجم هذه الظاهرة عندنا في الجزائر. في البداية يجب الإشارة إلى أنّ هذه الظاهرة ليست جديدة على المجتمع الجزائري، حيث يوجد إحصائيات حولها وذلك منذ الوجود الاستعماري.

خلال الفترة الممتدة من 1942-1949 نجد أنّ هناك 1507 شخصا قد انتحروا فعليا. وقد كان عدد الذكور المنتحرين قد بلغ 1086 بينما لدى الإناث 421 حالة انتحار. بمعنى أنّ هناك نسبة 72.06% من المنتحرين وفي المقابل هناك نسبة 27.94% عند الإناث. دائما خلال المرحلة الاستعمارية نجد أنّه في الفترة الممتدة ما بين 1950 إلى غاية 1955 هناك 1476 انتحار.

ومن هذه النسب والأرقام هي التي أعلنت عليها الجهات الفرنسية. ربما هناك أضعاف مضاعفة من حالات الانتحار في تلك الفترة وهذا راجع إلى الظروف المعيشية الصعبة بل الجحيمية التي كان يعيش فيها الجزائريون.

أما بعد الاستقلال فإننا لم نتوصل إلى أرقام خاصة، فمثلا الفترة الممتدة من 1962 إلى 1980 وهذا لعدة أسباب منها غياب مصلحة خاصة بهذه الظاهرة ومتابعتها، غياب شبه كلي للدراسات العلمية في هذا الميدان (علم الاجتماع وعلم النفس)، وهذا بالنسبة لنا نوع من التقصير من طرف هذه التخصصات بالإضافة إلى عدم اهتمام وزارة الصحة بهذه المسألة رغم خطورتها.

وفي دراسة علمية أجريت في مستشفى مصطفى باشا الجامعي على عينة 2039 ملفا خاصا بعملية التشريح لسنوات 1980 – 1987 (25)، وجد أنّ هناك نسبة 08.80% كانت ناتجة عن انتحار، ومن بينها كان هناك نسبة 67.60% ذكورا، و32.40% إناثا. كما بيّنت هذه الدراسة أنّ ظاهرة الانتحار ترتفع خاصة عند فئة العزاب بالنسبة للجنسين معا (67.8% ذكور عزاب ونسبة 53.4% عازبات)، ونفس الملاحظة بالنسبة لفئة المطلّقين.

وقد بيّنت الدراسة أنّ الانتحار عند الإناث يعود إلى الحمل قبل الزواج، وفقدان العذرية، وأمام هذا الوضع تفضل أغلبية الإناث إما الهروب من بيت الأهل والضياع في أغلب الحالات في عالم الدعارة أو الانتحار. وقد تعودنا على القراءة في الصحف أن فتاة في منطقة ما قد انتحرت وهذا رغم أنها تعيش في ظروف تحسد عليها وأنها ناجحة في الدراسة وليس لديها مشاكل مع العائلة. فهنا كسوسيولوجيين نميل إلى إرجاع هذا النوع من الانتحار إلى فقدان العذرية والخوف من العواقب ومواجهة الأوضاع. بالإضافة إلى تورط بعض الأولياء والذين يفضلون انتحار ابنتهم بدلا من الفضيحة والعار.

كما يمكن للفشل في العلاقات العاطفية دخل في الإقبال عند هذا الصنف من الإناث على الانتحار، بالإضافة إلى ضعف (أو غياب) الوازع الديني.

بالنسبة للفترة الممتدة ما بين 1990 إلى غاية 1994 هناك 793 حالة انتحار، منها 475 ذكور و 318 إناث، أي ما يعادل نسبة 59.89% عند الذكور و 40.11% عند الإناث. وقد مسّت هذه الظاهرة خاصة فئة المراهقين والبطالين، بالإضافة العازبات.

بالنسبة للسنوات الأخيرة فإننا لم نتحصل على أعداد مضبوطة أو موثوقة وهذا رغم المحاولات العديدة التي قمنا بها. فقد اكتفينا بما نشرته بعض الصحف الوطنية سواء باللغة العربية أو الفرنسية والتي لا يسعنا هنا إلا أن نشكرها على الدور الذي تقوم به فيما يخص التوعية ولفت الانتباه للمشكلات الاجتماعية التي أصبحت تهدد كيان المجتمع الجزائري.

خلال سنة 2005 سجلت الإحصائيات الرسمية في تقرير لمصالح الأمن 192 حالة انتحار (82.35% منهم الذكور و 17.64% نساء، مقابل 1423 محاولة انتحار منها 575 محاولة انتحار عند الرجال و 848 عند النساء، وأن أغلب هذه الحالات سجلت في العاصمة، بويرة تلمسان، وهران (غرب العاصمة) (26).

وفي دراسة لمصالح الدرك الوطني، صنفت الجزائر ضمن الدول العربية التي تعتبر فيها نسبة الانتحار متوسطة. وقد أكدت نتائج الدراسة بأن نسبة الانتحار مرتفعة لدى الفئة التي تتراوح أعمارها ما بين 18 و 40 سنة، وذلك بنسبة 63% حيث تمّ تسجيل 2974 حالة انتحار عند هذه الفئة من 1993 إلى غاية 31 أوت 2005، ثمّ الفئة التي تقل أعمارها عن 18 سنة، حيث تمّ تسجيل 24 حالة في 2004، وعشر حالات في سنة 2005 (27).

فيما سجّلت مصالح الدرك الوطني خلال الثمانية الأشهر الأولى من العام الحالي (2006)، 83 حالة انتحار مقابل 85 محاولة في نفس الفترة، أي ما يعادل أكثر من 10 حالات انتحار في الشهر الواحد إنّ الملفت في التقرير هو عدد الأطفال الذين انتحروا خلال ثمانية أشهر بـ 08 حالات مقابل 11 محاولة وسط قصر أقل من 18 عاما (28).

وفيما يخص علاقة الانتحار بالمستوى التعليمي " سجلت الإحصائيات الأخيرة أنّ أكثر الأشخاص المقدمين على الانتحار أميين، فمن بين 3709 مقدم على الانتحار في العشر سنوات الأخيرة، 2967 منهم أميون، أي ما يقارب 80% في حين أن 20% يتراوح مستواهم الدراسي بين الابتدائي والمتوسط والثانوي والجامعي الذي يمثل الطلبة وبعض الإطارات مثل الأطباء، المحامين، والمهندسين (29). وأكدت آخر الإحصائيات أنّ ظاهرة الانتحار مسّت كل الفئات الاجتماعية و 63% منها بدون مهنة، 11% موظفين، 12% عمال، 18% تزاوّل المهن الحرة، أما الطلبة فبلغت نسبتهم 06% (30).

وحول الوسائل المستعملة للانتحار توصلت الدراسة إلى أنّ 70% من عمليات الانتحار تتم عن طريق الشنق وهي الطريقة الأكثر تداولاً بين المنتحرين الرجال، و30% الباقية تمثل المنتحرات اللواتي يلجأن إلى التسمم، سلاح ناري، الأسلحة البيضاء أو القفز من مكان عال والغرق (31).

الوسيلة المستعملة حسب الجنس:

يذكر المختصون النفسيون أنّ المنتحرة تلجأ إلى وسيلة الانتحار السهلة وتبعد عما يطيل المعاناة، بينما يفضلّ المنتحر الموت البطيء عن طريق الشنق أو استعمال وسائل حادة مثل شفرة الحلاقة أو السكين (32).

وبلغ عدد حالات الانتحار جراء الانهيار العصبي 673 حالة، أي ما يعادل نسبة 15% في ظرف 10 سنوات.

كما أظهرت الدراسة المقدمة من طرف مصالح الدرك الوطني أنّ أغلبية المنتحرين يعانون من اختلالات عقلية حيث تمّ تسجيل 31 حالة من هذا النوع سنة 2004 منهم 29 رجلاً وامرأتان، كذلك المشاكل الاجتماعية بنسبة 12.05%، كذلك الذين يعانون من الانهيارات العصبية بتسجيل 18 حالة انتحار في السنة الحالية (2006)، وعشر محاولات انتحار، كذلك هناك عامل اليأس بنسبة 15%، ففي السنة الحالية (2006) تم تسجيل 5 حالات لأشخاص يعانون من اليأس، وفي السنة الماضية سجلت 11 حالة بالإضافة إلى العوامل الأخرى.

ذكرت مصالح الأمن في تقرير أطلعت عليه "إسلام أون لاين. نت" بتاريخ 2004-05-29 أنّ 369 شخصا انتحروا منذ بداية السنة الجارية (33).

أشرف فريق من الأطباء الجزائريين المختصين في الأمراض العقلية مستشفى "دريد حسين" بالعاصمة على إعداد دراسة ميدانية شملت المرضى الذين استقبلهم المستشفى خلال سنة 2003، فأتضح أنّ

محاولات الانتحار تكثر عند النساء اللواتي تتراوح أعمارهن بين 30 و39 سنة (مع المطلب الخاص بالجنس) (34).

ويقول الدكتور "أحمد لانكري" المختص في الطب الشرعي بمستشفى تيزي وزو في تصريح لـ "إسلام أون لاين.نت" بتاريخ السبت 29-05-2004 أن الدراسة الميدانية التي أنجزها حول الانتحار بينت أن أكثر المنتحرين رجال، وأنه من بين 51 حالة انتحار يوجد شخصان تجاوزوا الستين، وطفل في الثامنة.. وتقع أكثر حوادث الانتحار حسب الدكتور لانكري بين شهري يونيو ويوليو وهي فترة ظهور نتائج الامتحانات بالمدارس والجامعات، وتبين أن عددا كبيرا من المنتحرين وضعوا حدا لحياتهم بسبب إخفاقهم في الدراسة (35).

وركزت مجموعة من المختصين في الطب النفسي بحوثها على أشكال الانتحار التي يلجأ إليها المرضى عصبيا وتوصلت إلى أن تناول السم هو الوسيلة الأكثر تداولاً بين المنتحرين الرجال، أما المنتحرات فينزعن إلى الرمي بأنفسهن من أماكن مرتفعة (36).

بعض الأرقام الخاصة بالانتحار حسب ولايات القطر الجزائري:

انتحر 279 شخصا في ولاية بجاية منذ سنة 2000 وكانت سنة 2004 الأكثر مأساوية بعدما بلغ عدد المنتحرين 68 ضحية، وتشير بعض المصادر القريبة من هذا الملف المعقد إلى أن منطقة الريف هي الأكثر تضررا من هذه الظاهرة التي لم تستثن أية فئة عمرية ومن الجنسين (37).

وقد كانت الأرقام المسجلة من سنة 2000 إلى 2006 كالتالي:

السنوات	عدد حالات الانتحار	النسبة
2000	44	14.96%
2001	41	13.94%
2002	42	14.28%
2003	34	11.56%
2004	68	23.12%
2005	37	12.58%

2006	28	%09.23
المجموع	294	%100

نلاحظ من خلال هذا الجدول بأن ظاهرة الانتحار لم تعرف استقرارا في الأرقام حيث بعدما كانت خلال سنة 2000 تقدر بنسبة %14.96 نجدها تنخفض خلال سنة 2006 إلى أدنى مستوى لها منذ السنوات السبع الأخيرة وهذا لتصل إلى نسبة %09.23، بينما تبقى سنة 2004 سنة متميزة حيث عرفت منطقة بجاية خلالها أعلى معدل للانتحار الفعلي والذي وصل إلى 68 حالة ما يعادل نسبة %23.12. مع الملاحظة أن هذه الأرقام هي تلك المصرّح بها والمعلنة في الجرائد اليومية (انظر جريدة الخبر اليومي العدد 4962).

بالنسبة للأسباب الكامنة وراء الإقبال العالي خلال سنة 2004 يجب البحث في أهم الأحداث التي تميزت بها (انفردت بها) ولاية بجاية من حيث عدد العمال الذين تم تسريحهم من العمل، عدد التلاميذ والطلبة الذين فشلوا في التعلم (خاصة في البكالوريا)، وكذلك عدد اللواتي فشلن في حياتهم العاطفية والزواجية. وفيما يخص الأسباب التي دفعت كل من الذين حاولوا الانتحار وفشلوا والذين انتحروا بالفعل فقد كانت على النحو التالي:

الأسباب	العدد حالات	النسبة
اضطرابات نفسية	08	20%
مشاكل عائلية	04	10%
إعاقة ذهنية وأمراض عقلية	06	15%
مشاكل مهنية	04	10%
نتائج دراسية غير مرضية	02	05%
تراكم الديون	02	05%
التهرب من الفضيحة	01	02.5%
أسباب مجهولة	13	32.50%
المجموع	40	100%

جدول يبين الذين انتحروا والذين فشلوا في محاولتهم بولاية بجاية خلال 2006.

البلديات	حالات الانتحار	النسبة %
بجاية	05	12.5
تازمالت	05	12.5
أدكار	03	7.5
سيدي عيش	03	7.5
شلاطة	03	7.5
أوقاس	02	05
أميزور	02	05
تيمزيرت	01	2.5
تيشي	01	2.5
سمعون	01	2.5
توجة	01	2.5

قناية	01	2.5
تينددا	01	2.5
تاوريت	01	2.5
إغيل	01	2.5
أقبو	01	2.5
أكفادو	01	2.5
ملبو	01	2.5
أمالو	01	2.5
برباشة	01	2.5
بني جليل	01	2.5
فرعون	01	2.5
القصر	01	2.5
أوزلاقن	01	2.5
المجموع	40	100%

بالنسبة لولاية باتنة فقد سجلت تقارير الدرك الوطني والحماية المدنية 24 حالة انتحار وأكثر من 30 محاولة فاشلة. مع الإشارة إلى أنّ هذه الولاية مصنفة في المرتبة الثالثة بشرق البلاد خلال سنة 2006 (38). وأشارت نفس التقارير إلى تصاعد ظاهرة الانتحار لدى الكهول على وجه الخصوص بعد أن بلغت نسبتهم 46% من مجموع المنتحرين من الشباب والنساء. فمن ضمن 24 ضحية هناك 09 منتحرين كهولا تتراوح أعمارهم ما بين 52 و83 سنة. وحول كيفية الانتحار أو الوسيلة المستعملة بالنسبة لفئة الكهول فقد تمثلت في أفزع طريقة وهي الشنق، وذلك للتخلص من المآسي الناتجة عن ضغوط عاطفية ونفسية واجتماعية. وفي نفس المنطقة -باتنة- تحتل فئة النساء المرتبة الثانية إذ نجد ضمن هذه الفئة من الفتيات المراهقات اللواتي يعانين من ضغوط عاطفية

وأُسرية وفئة الكاهلات المتزوجات أو العازبات اللواتي يعانين من ضغوط اجتماعية قاسية.

وحسب الإحصائيات المسجلة فإنّ حالات الانتحار المزرية في الوسط النسائي تقدر بـ 08 حالات تتراوح أعمارهن ما بين 15 و 20 سنة في حين توجد 03 حالات في وسط الكهول اللواتي تتراوح أعمارهن ما بين 30 و 58 سنة من بينها حالة مرضية بإحدى عيادات التوليد⁽³⁹⁾. وفيما يخص ولاية تلمسان فحسب الإحصائيات الرسمية تعد ثاني ولاية تعاني من ظاهرة الانتحار.

سجلت مصالح الأمن لولاية تلمسان في تقريرها الأخير أكثر من 120 محاولة انتحار، منها 12 حالة انتهت بالوفاة⁽⁴⁰⁾.

وكشفت مصالح الأمن أن تلمسان تحتل المرتبة الثانية على المستوى الوطني بعد ولاية تيزي وزو من حيث محاولات الانتحار Tentative de suicide ، إلا أنّ ولاية بجاية تبقى تحتل الصدارة من حيث الانتحار الفعلي (المحاولات الناجحة) مقارنة مع كل من تيزي وزو وتلمسان.

وفيما يخص المنتحرين بولاية تلمسان نجد أنّ الفتيات يحتلن المرتبة الأولى خاصة اللواتي تتراوح أعمارهن ما بين 15-20 سنة وهي الفئة العمرية الأكثر إقبالا على الانتحار.

وأرجع المختصون إقبال الشباب على الانتحار إلى تدهور العلاقات الاجتماعية، بروز بشكل ملفت للانتباه الطلاق والفشل في استمرارية العلاقات العاطفية...، إضافة إلى المشاكل العائلية المتراكمة والفشل في الدراسة وإرغام الفتيات على الزواج من غير إرادتهن⁽⁴¹⁾.

سادسا: بعض الأسباب الدافعة للانتحار:

وفي نظرنا تعود هذه الظاهرة إلى عدة أسباب نذكر من بينها:
-الضياح الاجتماعي: والمتمثل اللاقيمة الاجتماعية وفقد المكانة داخل المجتمع، وهذا يطبق على بعض الإطارات المهمشة والتي تعاني من الغربة داخل المجتمع.

-تسريح العمال: وهذا ما دفع بالعديد منهم إلى الانتحار كونهم أصبحوا لا قيمة لهم في نظر أسرهم والمجتمع ككل بعد كل ما قدموه من عطاء وتفاني في العمل، وعجزهم عن القيام بوظائفهم داخل أسرهم.

-غياب الوازع الديني وانتشار الأمراض الأخلاقية والنتيجة إما إدمان، الدعارة، أو الانتحار الخ...

-كذلك لكل من الأزمة الاقتصادية والسياسية دخل في إقبال بعض المواطنين على الانتحار.

-غياب العديد من مؤسسات التنشئة للأسرة، المدرسة، المسجد... والتي أصبحت اليوم غير وظيفية (لاتؤدي دورها التربوي والتنشئي).

-بالإضافة إلى مشاكل أخرى متعلقة بالفشل المدرسي، الحرمان العاطفي، التفكك الأسري، ضعف مؤسسات الضبط الاجتماعي وغيرها من المشاكل الأخرى والتي هي سبب في الإقبال على الانتحار.

وخاصة التغير الاجتماعي السريع والعنيف الذي مس المجتمع الجزائري.

سابقا: بعد هذا العرض السريع نصل إلى النتائج التالية:

-إن ظاهرة الانتحار ظاهرة عامة وتمس كل القطر الوطني أي أنها لا تمس منطقة أو مناطق معينة كما يُروج له البعض.

-كذلك أنها لا تخص شريحة مهنية أو عمرية أو جنسية معينة بل نجدها عند المسنين كما نجدها عند القاصرين سنا كذلك عند الذكور والإناث، لا تخص الفقراء أو العاطلين عن العمل دون العاملين أو الأغنياء.

-وتبين من خلال الدراسات أنّ للمؤسسات التنشئية دخل في الإقبال على الانتحار، ولهذا حان الوقت كي تأخذ مؤسسة تنشئية مسؤوليتها للحد من هذه المشكلة.

وعليه يجب على:

-أولا: الأسرة ان تقوم بوظائفها التربوية والتطبيعية على أحسن وجه وأن لا تكتفي بوظيفتها البيولوجية الإنجابية، كما عودتنا عليه، وكذلك يجب عليها أن تقوم بالتوعية إزاء أفرادها وحثهم على أن الحياة كلها صراع ومواجهة وليس بالهروب تحل المشاكل.

-ثانيا: المدرسة وهي ثاني مؤسسة تنشئية يجب عليها أن تخرج من عالمها الضيق والمخنق الذي كبلت نفسها فيه، وأن تقوم بالأدوار المنوطة بها.

كذلك يجب أن توسع من مجال عملها والقيام بالاتصالات مع أسر المتعلمين وذلك لمعرفة البيئة والظروف التي يتواجد بها المتعلم-التلميذ- وأن تُخصص ضمن البرنامج الرسمي دروسا حول المشكلة ومخاطرها. -المسجد يجب كمؤسسة تنشئية تروبية أن يقوم بدوره في نشر ثقافة نبذ العنف واحتقار الذات وتدميرها، وعليه فهو مسؤول في تنمية الوازع الديني عند الأفراد.

كذلك يجب على الدول أن تتدخل لجعل حد لبعض العادات المكبلة والمهينة للإنسان نظرا لما أنتجته من مشكلات اجتماعية. كذلك يجب أن تسنّ قوانين دقيقة تجعل حدا لأبغض الحلال والمتمثل في الطلاق والذي أصبح في نظرنا من الأمور الهينة والمتساهل فيها. أي عدم التسرع في إصدار الطلاق بين الزوجين.

كذلك يجب أن تساهم كل المؤسسات التنشئية والتربوية في نشر ثقافة حب الحياة والعمل على استمراريتها ونبذ كل صور العنف والجريمة وهذا من خلال الكتب المدرسية وسائل الإعلام السمعية والبصرية وكذلك ديار العبادة.

وفي الأخير تبقى التوعية أحسن طريقة للحد من هذه المشكلة التي أصبحت تهدد الحياة.

المراجع

- (1) - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج5، د.ت. ص: 1970.
- (2) - ناجي الجيوش، الانتحار: دراسة نفسية اجتماعية للسلوك الانتحاري، مؤسسة الشبيبة للإعلام والنشر، دمشق، 1990، ص23.
- (3) - صالح بن سعد اللحيدان: ظاهرة الانتحار عند الشباب، مركز التوثيق والمعلومات، وزارة الشباب والطفولة، عدد5، 1992، ص40.
- (4) - سورة الكهف، الآية 6.
- (5) - ذياب البداينة، جريمة قتل النفس في المجتمع الأردني، دراسة من وجهة نظر علم الاجتماع مجلة جامعة الملك سعود المجلد 7 كلية الداب الرياض 1995، ص571.
- (6) - نفس المرجع، ص572.
- (7) - L.P Milman and l'Kramer, A psychological approach to abnormal behaviour England cliffs , N J.prentice Hall 1975, p576.
- (8) - ذياب البداينة، مرجع سبق ذكره، ص571.
- (9) - Emil Durkheim : **Le suicide**, édition P.U.F, Paris 1967, p.42.
- (10) - مكرم سمعان، مشكلة الانتحار، دراسة نفسية اجتماعية للسلوك الانتحاري، القاهرة، دار المعارف بمصر 1964، ص450.
- (11) - نفس المرجع، ص46.
- (12) - ناجي الجيوش، مرجع سبق ذكره، ص24.
- (13) - Shneidman, Death : current perspectives (palo alts calif) May field publishing company, 1980 p.416.
- (14) - مكرم سمعان، مرجع سبق ذكره، ص50.
- (15) - عبد الله بن سعد الرشود، ظاهرة الانتحار، التشخيص والعلاج، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2006، ص29.

- (16)-أحمد شفيق السكري، قاموس الخدمة الاجتماعية والخدمات الاجتماعية دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص521.
- (17)-عبد الله بن سعد الرشود، مرجع سبق ذكره، ص30.
- (18)-ليون مينارد، الانتحار والأخلاق، ترجمة دار العوا دار دمشق، دمشق، 1987، ص85.
- (19)-صالح بن سعد اللحيان، مرجع سبق ذكره، ص24.
- (20)- ناجي الجبوش، مرجع سبق ذكره، ص24.
- (21)-مكرم سمعان، مرجع سبق ذكره، ص46.
- (22)-حسن علي قايد، دراسات في الصحة النفسية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2001، ص69.
- (23)- نفس المرجع، ص69.
- (24)-ليون مينارد، مرجع سبق ذكره، ص72.
- (25)-سوزان بركات، لماذا ينتحر الجزائريون بكثرة
<http://www.amanjordan.org/a-news/wmview.phpart>
 ld=460 بتاريخ 2006/08/28.
- (26)-نفس المرجع، نفس التاريخ.
- (27)-نفس المرجع، نفس التاريخ.
- (28)-نفس المرجع ، نفس التاريخ.
- (29)- نفس المرجع ، نفس التاريخ.
- (30)-نفس المرجع ، نفس التاريخ.
- (31)-رياض فتح الدين، الجزائر...تصاعد عدد المنتحرين يؤثر القلق
<http://www.ismamonline.net/arabic/news/2004-05/29/article16.shtml>.
- (32)- نفس المرجع، نفس التاريخ.
- (33)- نفس المرجع، نفس التاريخ.
- (34)- نفس المرجع، نفس التاريخ.

- (35)-ع.مصمودي، 24 حالة انتحار و30 أخرى فاشلة بباتنة، جريدة الخبر اليومية، 15 مارس 2007 الموافق لـ 25 صفر 1428هـ، العدد 4962، ص19.
- (36)- نفس المرجع، ص19.
- (37)-ع-ب-ش: 120 محاولة انتحار والفتيات على رأس القائمة، جريدة الخبر ليوم 07 مارس 2007 الموافق لـ 17 صفر 1428، العدد 4955، ص18.
- (38)- نفس المرجع، ص18.